دمشق وحبر العشق والعرفان من محبيها

هام في حسنها ابن عربي حين انكشف عند أبوابها بعض سر الكون فتصوف العشق فيها حتى ارتقى

إسماعيل مروة

حين راجعت الدواوين الشعرية القديمة والحديثة التي توفرت بين يدي لم أعثر إلا على امتداح دمشق وحبها عند الشعراء، دون النظر إلى بلدانهم ومواقفهم وعقائدهم، وحين قرأت «الديوان الدمشقي» لصديق الراحل محمد المصري الذي جمع ما قيل في دمشق قديماً وحديثاً أكد أنه لم يعثر على شعر ينتقص الشام غير ثلاثة أبيات ضاقت سبل قائلها في الحياة، وما سوى ذلك فالشام دمشق معشوقة الإنسان، ولحظة الافتتان، وكثيرة هي النصوص والكتب التي قيلت في دمشق، ولكن كتاباً وصل إليّ (الرسائل الدمشقية) الذي جمعه سامي كليب وفيصل جلول، والذي عرّفاه بإيجاز «واحد وعشرون كاتباً عربياً يروون يومياتهم الشامية» فماذا عن هذا الكتاب؟ وماذا يروي أصحابه؟

دمشق الملاذ والحنان

في هذا الكتاب جمع لطيف وشامل لعدد من الكتاب العرب، بعضهم عاش في دمشق سنوات، وبعضهم درس في جامعتها ونهل العلم فيها، وبعضهم جمعته الإيديولوجيات، وعدد اقتصر على زيارات، والأكثر طرافة هو ذلك الحلم الذي يدور في أرجاء دمشق ولكنه لم يطأ بقدمه أرض دمشق، والأكثر أهمية في هذا الكتاب الوجداني والتوثيقي أنه جمع عدداً من الأسماء المهمة في الوطن العربي من المحيط إلى الخليج، وأظهر دور دمشق في بثّ المعرفة والثقافة والعلم في معاهدها وجامعتها لكل أبناء الوطن العربي، وببعثات في سورية تتكفل سورية بنفقاتها، إضافة إلى احتضان دمشق عبر السنوات الطويلة للحركات الطلابية والتحررية التي أنتجت عدداً كبيراً من القامات القومية، عدد منهم شارك في هذا الكتاب، ومن الشخصيات التي شاركت في الكتابة (إبراهيم كمال الدين- البحرين، إيلي الفرزلي- لبنان، حسين العمري- اليمن، حسين شعبان- العراق، حكيم زموش- الجزائر، رشاد أبو شاور- فلسطين، سامي كليب- لبنان، سعدة الصابري- ليبيا، الصادق بوقطاية- الجزائر، صقر أبو فخر- فلسطين، عبد العزيز المقالح- اليمن، عبد الله الأشعل- مصر، علي دراج- الجزائر، عمرو ناصف- مصر، فاضل الربيعي- العراق، فيرايمين- لبنان، فيصل جلول- لبنان، كريم أبو صلاح الدين- الجزائر، كريم إفراق أحمد- باريس، محمد حسب الرسول- السودان- نايلة ناصر- لبنان).

والمميز في هذا الكتاب والمفيد في الوقت نفسه بأنه ليس كتاباً سياسياً أو تأريخياً أو تكريمياً، بل هو كل هذه الأنواع مجتمعة، يسلكها الوجدان والحب والانتماء، ولا يدفع إليها واجب طارئ، ولا يجمعها مؤتمر يدعى إليه الكتّاب.. إنه تعبير دافئ واقعي لدمشق الملاذ الذي كان ولا يزال، وإلى دمشق الحلم الذي يراود كل عروبي صادق العروبة..

الزمن الممتد

هناك كتب كثيرة كتبها كتابها فرادى ومجتمعين عن دمشق، وهي تعبر عن حالة ماضوية أو راهنة أو مستقبلية، تعالج حالة سياسية أو فكرية أو أدبية أو تاريخية، لكن هذا الكتاب يعالج الزمن الممتد لدمشق، فذا يبحر في المدينة وتاريخها العظيم، وآخر يعبر في حلمه عن جغرافية المكان ورمزيته وأبواب دمشق، وثالث يدور فينا في شوارع دمشق في الأربعينيات والخمسينيات عندما كان طفلاً يدور بين بيوتها وأسواقها ومدارسها حين يستقربه المقام وكاتب آخر عروبي ناله شظف العيش والظلم والبؤس في بلده، فكانت دمشق بقوانينها وناسها المكان الذي أعطاه العلم والأمان بالمجان، ويرسم صورة لدمشق في ذلك الزمن الممتد حتى ثمانينيات القرن العشرين، وفي هذه الصورة ينصف دمشق التي يجتمع فيها العرب والناشطون من موريتانيا والمغرب إلى البحرين وعمان، وجميعهم يعيشون ظروفاً صحية مجانية في ميادين التعليم، ويمارسون أنشطتهم وعلومهم ورحلاتهم وحياتهم لتصبح دمشق جزءاً مهماً منهم، ولا تكتفي بأن تكون المكان..

وهذه الدراسات الغنية تستمر إلى زماننا، وتقدم رؤى سياسية تقف عند الحرب على سورية كما فعل سامي كليب في قراءة جد عميقة، وفي الكتاب دراسة عميقة أيضاً فيها رؤى وسياسة، بل أكثر من دراسة لفيصل جلول وإيلي الفرزلي وفيرايمين.. رؤى قدمها رجال أدب، ورجال سياسة ورجال فكر، ورجال صحافة، أسهم فيها عدد من المثقفات والمثقفين الذين قد لا يعرف القارئ بعضاً منهم، إلا أنه سرعان ما يتوقف عندها مذهولاً بكم الحب والانتماء الذي يحمله لدمشق وسورية، هذا الحب الصادق لكوكبة من فرسان السياسة والأدب والصحافة الذين تنادوا لتدوين رسائلهم الدمشقية ليومياتهم الشامية، وبعضهم فارق الحياة رحمه الله، وتلبيتهم للنداء كانت نابعة من الحب وحده ولا شيء سواه، فالنداء واجب روحاني وقومي، واللباس الذي ارتداه هذا الحب كان دعوة لحب دمشق أرسلت إليها، ولم تصنع على أرضها أي تكتل العشاق بأوراق رسائلهم وأحبارها وأقلامها، ولم تكن هذه الدعوة تلبية لحافز داخلي في دمشق، ولا تلبية لدعوة نشر محلية، إنه الحب الدافع الوحيد الذي حوّل دمشق إلى قداسة روح في زمنها الماضي والحاضر ليلتف حولها الجليلات والأجلّاء في مولوية للعشق الصوفي الممزوج بالكثير من الذكريات والانتماء والامتنان.

تعويذات للحب

إبراهيم كمال الدين: ورغم قصر فترة وجودي في دمشق لكنها كانت مفيدة لي كثيراً حيث شعرت بالأمان وبأنني في بلدي؛ الجميع هنا يتعامل معك برقي حضاري وأينما ذهبت فأنت محط ترحيب حيث إن دمشق يخفق قلبها لكل عربي ولا ضير إذا سميت (قلب العروبة النابض)، وغادرتها وكلي شوق إلى العودة إليها ثانية، وبعد رحلة عمل في قطر والسعودية عدت إليها طالباً في كلية طب الأسنان التي لم أوفق في إكمالها.

إيلي الفرزلي: إنه ليس صراعاً في سورية، وليس صراعاً على السلطة كما حاول كثيرون تظهيره وكأنه صراع معزول عن الأطماع الخارجية، بل هو صراع على سورية نفسها، ربما بوقود سوري، ضمن السياق التاريخي الممتد منذ آلاف السنين.

د. حسين بن عبد الله العمري: والتحقت بمدرسة التطبيقات التي كان قد سبقني إليها زميلان هما عبد الولي القوسي ويحيى إبراهيم- رحمهما الله- وهما في مثل سني في حدود الرابعة عشرة، وأربعة أو خمسة آخرون أكبر سناً منا التحقوا بمدرسة التجهيز (الثانوية)، والكل يسكن في مدرسة صناعية داخلية تقع في شارع (زقاق الصخر)، الممتد من ساحة قصر الضيافة إلى قرب رئاسة الأركان ومديرها الشخصية كبيرة هو المربي الصارم الأستاذ الأحدب، فكان الطعام والنوم بها في شتاء شهر كانون الأول ١٩٥٧ البارد، وشاهدنا الثلج للمرة الأولى في حياتنا، وكان ذلك قبل نحو نصف قرن من الآن حيث أتيح لي، وعلى مدى عامين معرفة دمشق الشام قلب العروبة النابض، وأهلها المحبين أينما حللنا، وكم كان مدير مدرستنا المرحوم المربي (موفق الحويجات) حدوباً علينا، ومن ذلك إدراكه شدة البرد علينا ونحن بملابس خفيفة فاشترى لنا معاطف تمكنا بها من مواجهة ذلك البرد والثلج اللذين لم نكن نعتادهما.

د. عبد الحسين شعبان: دمشق مثل بغداد شدّتني وساهمت في اعتدالي وزادتني مرونة وتسامحاً، وملت فيها أكثر فأكثر إلى قبول الآخر واحترام «حق الاختلاف»، وتلك سمة التمدن، ومعنى ذلك أن دمشق دمشقتني، مثلما بغداد بغدرتني، أي إنهما مدنتاني، فالدمشقة والتبغدد معناهما، التمدن، والتحضر.

حكيم زموش: كنت أحب أن أندمج في الخليط البشري، خليط مختلف الأديان والأعراق. خليط لا يفضي إلى حديث عن العرق والدين، خليط هو صورة مصغرة لمجتمع تراكم بناؤه هكذا عبر الأزمنة، مجتمع هو في النهاية ما يريد الغرب الوصول إليه اليوم، مجتمع علماني، حر، متعدد الأطياف والأعراق، ولكنه متجانس في العيش بثقافة واحدة وبطريقة دمشقية مخلصة لتاريخ البلد وإرثه.

رشاد أبو شاور: آنذاك، منتصف الخمسينيات، والستينيات، كانت دمشق تضج بالنشاطات الثقافية، بالمحاضرات في منتدياتها، بالأماسي الشعرية، وكشاب بدأ يقرأ انحزت لقصيدة التفعيلة، وسعدت بسماع الشاعر الكبير خليل حاوي في مقر الاتحاد العام لطلبة فلسطين، وكان مقره في الجسر الأبيض، ومنه سمعت مباشرة قصيدته الخالدة: الجسر..

سامي كليب: لابد من البحث عن الباب الثامن للعبور منه صوب سورية المقبلة... الأبواب السبعة ما عادت تكفي. لعل خطأ السوريين أن كل قسم منهم كان يدخل من باب وتحت كوكب، ويعتقد أنه باب الله المختار.. لابد من دخولهم جميعاً عبر الباب الثامن.. مفتاحه في كل قلب سوري، وفي كل قلب محب لسورية.. على حافات ذاك الباب الثامن فقط سيزهر مجدداً الياسمين.

سعدة الصابري: وها نحن اليوم بعد كل هذه التجاذبات في سماء سورية والتناحر على أرضها، والتكالب على حضاراتها وثرواتها، نراها عصية على الأعداء والمتربصين بها، فلديها من المآذن والأجراس ما يكفي لصم آذانهم ومن البوابل ما يلزم لصد عدوانهم، ومن الناسجين ما يكفي لغزل شباك تفشل مخططهم لتقسيمها، ومن السواعد الوطنية ما يعيد إعمار ما دمروه منها، ومن الياسمين ما يمحو رائحة الدم ومن أجناس وألوان البشر والثقافات ما يجعل منها كوكباً قائماً بذاته.

الصادق بوقطاية: قاسيون الساهر على دمشق، هذا الجبل الأشم يجول بك وأنت واقف على قمته عبر آلة الزمن الموسومة بالحنين، فتتراءى أمامك حقب تاريخية مميزة مضت بأحداثها وشخصياتها. ورجال عظماء وعلماء مروا من هنا وعاشوا هنا ثم تركوا بصماتهم في فضاء الشام الرحب، على قمة قاسيون تتساءل:

> هي الآن دمعة بعد أن كانت ابتسامة وهي جرح نازف بعد أن كانت أغنية فيروزية تملأ الفضاء العربي

عبد الله البردوني.. شاعر اليمن وفارس الشعر الأصيل

صور الأشياء بدقة فاقت قدرة المبصرين من المبدعين فتفوق من ظهوره الأول في مهرجان أبي تمام

أنس تللو

شاعرٌ ضريرٌ أراد أن يثبت قدرته الأدبية بين المبصرين، فكان له ذلك، بل لقد حقق نجاحاً كبيراً وفوزاً ساحقاً.

البردوني كان مثالاً صارخاً على أن هناك جواهر نادرة نفيسة لا يكشفُها لمعانُها ولا يشير إليها شدةُ بريقها، إنها تحتاج إلى عينٍ فاحصةٍ دقيقة، وخبرةٍ وافيةٍ عميقة.

مهرجان أبي تمام

بدأت قصة البردوني حين دعي عام ١٩٧١ إلى الموصل للمشاركة في المهرجان الذي يحتفي بمناسبة مرور ألف سنة على وفاة الشاعر أبي تمام، وكان بين شعراء كبار مثل محمد مهدي الجواهري وعبد الوهاب البياتي ونزار قباني وأحمد عبد المعطي حجازي وعمر أبو ريشة وغيرهم، وقد قرؤوا جميعاً قصائدهم العظيمة التي أثنت على الشاعر الكبير أبي تمام وغاصت في تفاصيل شعره العميقة، وحين نودي على اسم عبد الله البردوني فوجئ الجمهور برجل قصير القامة أشعث الشعر رث الثياب يعتلي المنصة، ما حدا بالبعض إلى مغادرة القاعة، ولما بدأ البردوني بإلقاء قصيدته التي يخاطب فيها أبا تمام بصوت أخّاذ جميل وبأداء ممتع مبدع ؛ خيّم على القاعة صمت مهيب.

إعجاب وإجماع

واستمر البردوني، وكان كلما يتوقف عند مقطع تلتهب أيدي الجمهور بالتصفيق، وكلما انتهى التصفيقُ يعودُ البردونيُ ليؤجج حماسةَ الجمهور بعباراته الحادة وكلماته العميقة.

لقد قال البردوني قصيدة يعارض فيها قصيدة أبي تمام معارضة شعرية، فأبو تمام كان يرى أن سلطة القلم أي الثقافة والعلم يجب أن تنحصرَ في مكانها الصحيح، لدى العلماء والفقهاء والشعراء، أما المنجمون فلا مكان لهم في حدود هذه السلطة، ومشهورةٌ هي قصيدةُ أبي تمام التي يقول فيها:

السيفُ أصدقُ إنباءً من الكتبِ
في حدِّه الحدُّ بينَ الجِدِّ واللعبِ
بيضُ الصفائحِ لا سُود الصحائفِ،
في متونهن جلاءُ الشكِّ والريَبِ

حضور الماضي

أما البردونيُ فقد تجاوز عاملَ الزمن، واستدعى أبا تمام (حبيب بن أوس الطائي) بعد ألف عام، واستعرضَ له التاريخ، وأخذ يُجري تقاطعاً بين حياته وحياته وبين الموصل واليمن، وبدأ قصيدته الخالدة، ومنها:

ما أَصْدَقَ السَّيْفَ! أن لَمْ يُنْضِه الكَذِبُ
وَأَكْذَبَ السَّيْفِ أن لَمْ يَصْدُقِ الغَضَبُ
مَاذَا جَرَى يَا أَبَا تَمَّام تَسَّألُني؟
عَفْوَاً سَأَرْوِي وَلا تَسْأَلْ وَمَا السَّبَبُ
مَاذَا فَعَلْنَا؟ غَضِبْنَا كالرِّجَالِ وَلَمْ
نصدُقْ وَقَدْ صَدَقَ التَّنجيمُ وَالكُتُبُ
حَبِيبُ هَذَا صَدَاكَ اليَوْمَ أَنْشُدُهُ،
لَكِنْ لِمَاذَا تَرَى وَجْهِي وَتَكْتَئِبُ؟
مَاذَا؟ أَتَعْجَبُ مِنْ شَيْبِي عَلَى صِغَرٍي؟
إِنِّي وُلِدْتُ عَجُوزَاً كَيْفَ تَعْتَجِبُ؟

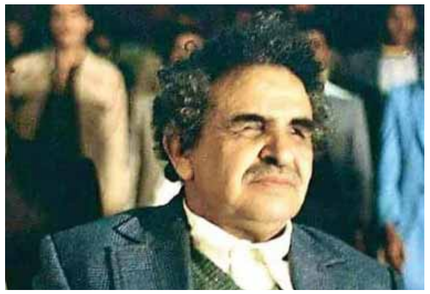

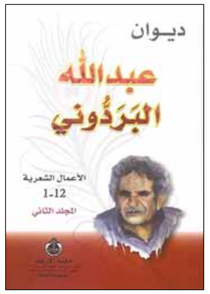

عبدالله البردوني وجهوده

وُلد الشاعر عبد الله بن صالح البردوني في قرية البردون في اليمن عام ١٩٢٩، وتوفي عام ١٩٩٩، وقد عُرف عنه أنه بارع مجدّد، ويمتلك مقدرةً عظيمةً على تطويع العناصر الأدبيّة والفنّيّة المتنوّعة في أشعاره؛ فكانت أشعارُه ملأى بالاستطرادات الجميلة التي استمدّها من مصادر مختلفة.

عمل البردوني عدة أعمال، فكان قاضياً ومحامياً وأستاذاً للأدب العربي ورئيساً لاتحاد الأدباء في اليمن، وموثقاً في إذاعة صنعاء.

وقد انطلق في رحلة عطاء كبيرة، تطرق فيها إلى تاريخ الشعر القديم والحديث في اليمن، فهو ليس شاعراً فقط، بل له مؤلفات عديدة، وله اثنا عشر ديواناً شعرياً، منها: من أرض بلقيس، في طريق الفجر، مدينة الغد، لعيني أم بلقيس، جواب العصور.

وله العديد المؤلفات الأدبية الفكرية، منها: رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه، قضايا يمنية، فنون الأدب الشعبي في اليمن.

لقد غدا اسم البردوني اسماً لامعاً في الساحة الأدبية، وتحدث عنه الأدباء والنقاد والشعراء، وقد قدّم الدكتور وليد مشوح رسالة دكتوراه (الصورة الشعرية في شعر عبد الله البردوني) أطنب فيها في وصفٍ وتحليل شخصية وشعر البردوني، وبيّن فيها الآلية الدقيقة التي مكّنت البردوني على الرغم من فقده لبصره من أن يصور جزئيات الأشياء بدقة فائقة، مستعرضاً من خلال ذلك الشاعرية الفائقة والخيال الجامع والذاكرة الحية القوية التي يمتلكها البردوني.

حقاً إن البردوني يعتبر من أهم وأشهر شعراء العربية في القرن العشرين.

برجك اليوم 07/21

نجلاء قباني

الحمل

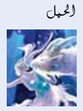

قد تقابل اليوم شخصاً يكون له أثر في حياتك قد يكون صديقاً نسيته منذ زمن وقد تشعر باسترخاء وسعادة أو تجتمع بأشخاص لم ترهم منذ زمن فاليوم للتجمعات.

عاطفياً: أنت في الشهر الأفضل للارتباط فالسعادة ترافقك وتدخل حياتك بل تدخل منزلك.

الثور

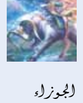

لاتقف في وجه الريح وانتبه لبعض الظروف الضاغطة أو التعقيدات المفاجئة فأمورك المهنية قد تعاني الإرباك والسبب هو تسرعك فانتبه لكلام الآخرين.

عاطفياً: أنت تميل إلى فرض آرائك والتحكم بشريكك العاطفي وتحاول إعطاء الأوامر لمن حولك فخفف من لهجتك العصبية.

الجوزاء

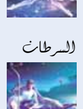

قد تفكر بتغيير عملك أو تأتيك عروض من خارج مؤسستك أو عملك الأصلي فاليوم لانتماءات مختلفة لذلك وازن خياراتك واختر بعقلك لتكسب استحسان الآخرين.

عاطفياً: تبدو الفراشة السعيدة تنتقل من مكان إلى آخر وترضي المحيطين بك وتقبل كل الدعوات.

السرطان

حلول وانفراجات وبعض الوعود الجديدة تشعر أن جهدك بدأ يلقى التشجيع والمدح وتحاول اليوم أن ترسم مصير ومستقبل علاقة عاطفية تشغل تفكيرك منذ مدة.

عاطفياً: قد تقضي أوقاتاً ممتعة وعذبة في سفر أو في علاقة دائمة مع حبيب أو زوج أو زوجة.

الأسد

خذ إجراءات تضمن سير العمل حولك بهدوء بعيداً عن التصعيد وجاهد للوصول إلى هدف تضعه أمام عينيك وخفف من انتقاداتك وسخريتك كن متأكداً مما تفعل.

عاطفياً: ستميل إلى وضع النقاط على الحروف في أغلب علاقاتك سواء كانت شخصية أم عملية.

العذراء

قد ينحرف مزاجك وتصبح نافد الصبر مستعجلاً وهذا سيجعلك تعمل أكثر من طاقتك ولكنك ستعرف نتائج أعمالك وتقطف ثمار إنجازاتك في المستقبل القريب فالحظوظ إيجابية.

عاطفياً: تتباهى بمحبة الناس لك واهتمامهم بمتطلباتك لاحظ كم ستسمع تهاني أو تعليقات على شكلك.

الميزان

يشغل بالك اليوم جو من المنافسة حولك وأنت تزدهر بالمنافسة والتحدي وتسعد بهما وخاصة أنك مؤثر في التفاوض وناجح بإنهاء أعمالك الكثيرة ولكن انتبه إلى من تحب.

عاطفياً: قد تحصل على حب يفجر مشاعرك أو مفاجآت سارة أو هدية أو حل لمشكلة.

العقرب

قد تعاني الشك أو الغيرة أو من صراعات عائلية مع إحدى الشقيقات أو أحد أفراد العائلة وعصبيتك قد تجعلك تتشاجر مع من تحب أو تشكك في محبته أو في صدقه معك.

عاطفياً: تمر بأيام للشجارات والصدامات.. فاحم نفسك من تصرف متسرع وواجه مشاكلك بهدوئك المعتاد.

القوس

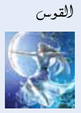

أنت من الأشخاص الذين يأخذون قراراتك بتسرع ولذلك اليوم خذ قراراتك بعد استشارة وبمحبة فقد تبدأ يومك بفرح وتفاؤل لأنك تستلم إدارة أمورك وزمام السلطة من جديد.

عاطفياً: لا أظن أنك ستعيش وحدك هذا اليوم على الرغم من الطقس المتقلب وغير المستقر.

الجدي

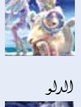

هذه الفترة جيدة للجديد فقد تفرح لعائدات مالية جيدة كانت مؤجلة كاستعادة حق أو دين أو عقد جديد أنت تسعى له أو تحلم به وتذكر أن ما نحلم به سيحتاج لجهودنا.

عاطفياً: أيام مفرحة ليسود التفاهم ولتسعى للقاءات وزيارات متجاوزاً الأزمات السابقة.

الدلو

تمتلك هذه الفترة الطاقة والحماس والرغبة في التغيير وقد تحقق إنجازاً يجعلك محط الأنظار وربما حيويتك اليوم ليس لها أسباب ولكنك تنفض ثياب التوتر وتخرج من حالة الضياع.

عاطفياً: هذه فترة مناسبة للعواطف ولتسعدك اللقاءات والاتصالات وهو يوم للحب بامتياز.

الحوت

ليس كل ما تريده تحصل عليه فلا تتصرف وكأن العالم انتهى فدائماً هناك حلول وقد تتضايق من ارتباك شخصي أو عتب عاطفي فلا تسمح لهذا أن يوقف عجلة الحظ حولك.

عاطفياً: وضعك متقلب ولكنه وكلما تقدم اليوم تميل أكثر إلى الهدوء وتبتعد عن العصبية.